الأمثال الشعبية..المقبول منها.. وغير المقبول

الأمثال الشعبية يعتبرها الكثيرون تراثاً وحكمة.. ويستشهدون بها في أقوالهم وتصرفاتهم.. وكثيراً ما نسمع عبارة "علي رأي المثل".

والبعض يعتبرون هذه الأمثال الشعبية لوناً من الفولكلور علي أنها في أذهان الريفيين والبسطاء قد ترقي إلي مستوي المباديء. والقيم. ويؤمنون بكل صحتها. ويرون فيها خبرة القدماء.

ولاشك أن في هذه الأمثال جانباً من الحق. ولكن ليس كلها ونحتاج هنا أن نتناولها بشيء من التحليل. لنري إلي أي مدي يمكن اتخاذها كمرشد في الحياة الاجتماعية والعلاقات بين الناس.

* **من الأمثال السائرة من جهة المعرفة:**

أمثال تكاد تكون متشابهة. مع الاختلاف في طريقة الصياغة: مثل "العلم في الصدور. وليس في السطور". وفي العامية يقال "المعلومات في الراس. مش في الكراس". وتماثلها عبارة "الذاكرة وليس المذكرات". وبنفس المعني تقريبا قول أحد الشعراء في أهمية حفظ المعلومات أكثر من جمع الكتب التي تضمها. وذلك بقوله:

عليك بالحفظِ دون الجمع في الكتبِ

فإن للكتْبِ آفات تفرقها:

النار تحرقها. والماء يغرقها

واللص يسرقها. والفأر يخرقها

***

* **ومن الأمثال التي تحتاج إلي مناقشة ما قد قيل من كثيرين حول العجلة والتأني أو البطء**.

* فمن المعروف جدا. المثل القائل. "في التأني السلامة. وفي العجلة الندامة". ومثلها "العجلة من الشيطان".

ويُضرب هذان المثلان بقصد التروي والتفكير وعدم التسرع.

لأن بعض الأمور التي تعمل بسرعة. لا تأخذ حظها من الدراسة وعمق التفكير.

ولكن يجب ملاحظة الفرق بين السرعة والتسرع

التسرع مذموم. ولكن السرعة قد تكون واجبة أحيانا. كالسرعة في إنقاذ إنسان في خطر. والسرعة في أداء الواجب وفي إغاثة المحتاج. وهنا أورد بيتين من الشعر. كل منهما يعارض الآخر:

* قال أحد الشعراء في التأني:

قد يدرك المتأني بعض حاجته

وقد يكون مع المستعجلِ الزللُ

- فرد عليه شاعر آخر بقوله:

وكم أضرّ ببعض الناس بطؤهمو

وكان خيرا لهم لو أنهم عجلوا

***

* **هناك مثل في الحرص والبعد عن المخاطر. يقول:**

"امشي سنة. ولا تخطي قنة "أي قناة""

ومع أن هذا المثل يضرب في الحث علي تحاشي الأخطار. ولو أدّي الأمر أن يتكلف الإنسان مزيداً من الوقت والجهد.. أي أن يسلك الإنسان في الطريق الآمن ———————————

ولو كان طويلاً ولا يختصر المشوار بأن يعبر قناة ربما تسبب الغرق. حتي لو أنه في سبيل هذا الحرص يمشي سنة.

وطبعاً من عيوب هذا المثل المبالغة الشديدة في الحرص. التي تبعد الإنسان عن روح الجرأة والمخاطرة. وتولد فيه شيئا من مشاعر الخوف. وما أسهل أن يعبر القناة دون أدني خطر.

***

والمبالغة في الحرص بروح الخوف. تذكرنا بمثل آخر يقول:

* "أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ"

ومعناه أن الذي يبالغ في الحرص علي عدم اغضاب أحد منه. مهما كانت الأسباب. سوف يقوده ذلك الحرص إلي حالة من الذل والخنوع لكل أحد. وقد يضطره الواجب أن يقول كلمة حق دفاعاً عن مظلوم. فإن امتنع عن ذلك حرصا منه ألا يصطدم بالظالم!! لوجد نفسه ذليلاً لكل من هو قوي.

* ومن أنواع المبالغة في الحرص التي تضر. المثل القائل:

والذي يرقب الريح. لا يزرع

فإذا خاف إنسان من تقلبات الجو. وراقب اتجاه الريح. وتخوّف من الزراعة في جوّ معين. هذا لن يزرع اطلاقا الذي يقول: نحن الآن في شهر أمشير. شهر العواصف والزعابير. والرمال التي تثيرها الرياح.. هذا الإنسان لن يستطيع أن يزرع بسبب تخوفه. بينما الحقيقة هي علي العكس. لأن شهر أمشير هو أنسب الشهور لغرس الأشجار.

إن هذا الخائف يذكرنا بقول سليمان الحكيم:

"قال الكسلان: الأسد في الطريق. الشبل في الشوارع"

***

* **مثل آخر يقوله بعض الريفيين في الوراثة. وهو:**

"اكفي القدرة علي فمها. والبنت تطلع لأمها"

فإن كانت الأم متعبة وعصبية المزاج. يتخوف الشباب من الزواج بابنتها. ولا يتقدمون لخطبتها. علي اعتبار أنها سوف تكون في نفس طباع أمها.

وهذا خطأ طبعا. فلا نستطيع أن نأخذ هذا المثل بطريقة مطلقة. فربما تكون لإحدي الأمهات بنتان. وكل منهما بطبع مختلف عن الأخري. وربما ترث إحداهما شيئاً عن أمها. ولا ترث الأخري شيئاً من الطباع. وإنما بعض ملامح من الشكل.

كذلك فإن طبع كل فتاة لا تتحكم فيه وراثة بعض من الأم!

إنما هناك عوامل كثيرة مؤثرة. منها البيئة. والمحيط العائلي علي مستوي واسع. وكذلك تأثير الثقافة. ودرجة الذكاء. وما يمكن اكتسابه من الصديقات ومن الأساتذة. ومن مراكز الشباب. ومن الإرشاد النفسي والاجتماعي ومن أسباب أخري.

وقد يكون أبوالفتاة هادئا ووديعا. وترث الابنة منه أكثر مما ترث من أمها. وتتأثر بأخلاقه الطيبة أكثر مما تتأثر بطباع الأم.

* وتوجد أمثال أخري إيجابية لوراثة العنصر الطيب. مثل "ابن الوز عوّام". و"هذا الشبل من ذاك الأسد" ولاشك أن الإنسان قد يرث عن والده أو عن والديه بعض صفاته من الذكاء. أو من الجرأة وما أشبه.. ومع ذلك لا تتحكم في هذه الأمور كلها قاعدة ثابتة.

بل قد توجد أمثال تعطي العكس تماما. مثل: "فساد العلماء في أبنائهم" أو "النار تخلّف رماداً".

إذن لا نأخذ هذه الأمثال وغيرها علي مستوي الإطلاق.

بل لكل حالة ما يناسبها. والناس يختارون من بين الأمثال ما يناسب الحالة التي يصفونها. سلباً أو إيجاباً.

***

*** هناك أمثال أخري في التعامل مع الأقوياء. مثل:**

* "البيضة ما تكسرشي الحجر"

وهي نصيحة لمن يتحدي من هو أقوي منه. أو من هو أكثر منه سلطة ونفوذاً. فالضعيف ليس من صالحه ولا في مقدوره أن يغالب القوي الذي هو صنو له. وفي ذلك قال الشاعر عن مثل هذا:

كناطح صخرة يوما ليوهنها

فلم يضرها وأوهي قرنهَ الوعلُ

أي إن أراد هذا النطّاح أن يُضعف الصخرة بنطحه إياها. فلن يقدر. بل علي العكس فإن الصخرة هي التي تصيب قرنه وتضعفه.

***

*** ومن الأمثال عن تأثير البيئة والعشرة الخاطئة:**

"من عاشر قوما أربعين يوما. صار منهم"

فنحن لا ننكر أن "المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة". ومع ذلك فإن كثيرا من الأنبياء وُلدوا في بيئات خاطئة. وعلي الرغم من ذلك لم يصيروا مثل الوسط الذي عاشوا فيه. بل أصلحوه. وكان لهم تأثير إيجابي عليه بقدوتهم الصالحة. وتأثيرهم القوي.

ونفس الوضع ينطبق علي كثير من المصلحين في أجيالهم وربما ما يقصده هذا المثل بعبارة "من عاشر قوما" أي من اختلط معهم في تصرفاتهم. فيتأثر هو بهم. دون أن يؤثر عليهم. وهكذا بمرور الوقت يصير مثلهم.

***

- **أيضا من الأمثال التي نود أن نحللها ونعلق عليها. قولهم:**

"كل تأخيرة. وفيها خيرة" أي أن هناك خيراً وراء كل تأخير.. وهذا مثل يريدون به أن يعزوا ويطيبوا خاطر من تأخر أو من تأخر عليه شيء كان يسعي إليه. فيقولون له: لابد أن هناك خيراً يختفي وراء هذا التأخير.

ولكن هذا المثل لا يمكن أن يكون حقيقة ثابتة مقبولة فهناك أمور لا يمكن أن يكون فيها التأخير خيراً

فتأخير التوبة ليس خيراً. بل علي العكس قد يزداد به عمق الخطية في القلب. ويزداد ضعف الإرادة في ترك الخطأ. بل ربما تزول أيضاً الرغبة في التوبة. التي كان يجب أن يستجيب لها الخاطيء دون أن يتهاون فيضيع منه الدافع.

كذلك ليس التأخير في علاج المرض خيراً. بل بالتأخير يتمكن المرض بالأكثر. ويصير العلاج أصعب.

كذلك ليس خيراً. التأخير في دفع أجرة الأجير. وهو محتاج إليها لسداد عوزه. وليس خيرا التأخير في انقاذ الغريق. أو في إطفاء الحريق.

وربما التأخير في القيام بمشروع معين. يجعل تكاليفه أكثر. وقد يُوجد لنا منافسين يعرقلون تنفيذه.

أما إن كان التأخير سببه المزيد من التفكير والتروي والدراسة النافعة. وانتهاز الوقت المناسب. أو الانتظار للمشورة الحكيمة. ففي هذه الحالة يكون خيرا. ولا نسميه تأخيرا بل حكمة في التوقيت.

***

*** وتوجد أمثال كثيرة خاصة بالجيران والجيرة منها:**

* "الرفيق قبل الطريق"

بمعني أن الإنسان الذي يرافقك في طريق الحياة. أهم من الطريق ذاته. لذلك اهتم بقدر الإمكان باختيار من يزاملك في أي مكان أو أي مشروع. ومن يشاركك. لأن له تأثيرا علي عملك وعلي حياتك.. وهناك مثل آخر مشابه وهو:

* اشتر الجار قبل الدار

فقبل أن تشتري بيتا. ابحث أولا من سيكون جارك فيه.

واحترس جدا من أن يكون ذلك الجار سبب تعب لك وهناك مثل يجمع بين المثلين السابقين وهو:

- اسأل عن الجار قبل الدار. وعن الرفيق قبل الطريق.

- وهناك أيضا مثل مشابه وهو:

"من شروط المرافقة. الموافقة"

ويصلح هذا المثل أن ينطبق علي الصداقة. وعلي الزواج. وعلي المشاركة في العمل. وعلي الجيرة.

* فإن حدث وجاور الإنسان من لا يوافقه. فهناك مثل ينصح بعدم الخلطة فيقول:

"صباح الخير يا جاري. أنت في دارك. وأنا في داري"

أي مع هذا النوع من الجيران. يكفي مجرد السلام "صباح الخير".

ويبقي كل إنسان في حاله. دون تزاور ودون خلطة.

* وعن مضار الجيرة المؤذية. يقول المثل:

"من جاور الحداد. اكتوي بناره"

يطلق هذا المثل علي معاشرة الأردياء وكاسري القوانين. فإنه إن أصابتهم كارثة. قد تصيب المختلطين بهم أيضا.

* وعكس هذا المثل. مثل آخر يقول:

"من جاور السعيد يسعد"

وهذان المثلان يضربان لتأثير الجوار. خيرا كان أو شرا.

***

علي أن مجال الأمثال الشعبية واسع جدا

نكتفي حاليا بما قلناه كمثال

وتبقي الأمثال الشعبية فيها المقبول وغير المقبول